

رسالة شاعر جنوبي معذب إلى غبطة البطيريك

الكردينال مار نصر الله بطرس صفير

سيدي البطيريك:

فيما يلي مقاطع من قصائد هي ربما فعل إيمان بלבنا أو أناشيد تمجيد أو صلاة، ارفعها إلى سدة بكركي، كونها هي التي أعطيت مجد لبنان، وهي التي تقود مسيرة الحفاظ عليه.

من قصيدة مطلعها "أفديك لا الخوف يثنيني ولا النصب" هذه الأبيات

آلافك الستة السماء ميزها
وحرّكك الفذ تياه بزورقه
مهد الحضارة يكفيني مفاخرة
لا الغرب ارضي ولا الصحراء باديتي
من السنين الإبا والعلم والأدب
لولاه ما كانت الأقلام والكتب
إني إليك إذا فوخرت انتسب
بل شاطيء المجد والعرعار والهضب
بالروح بالجسم لا لوم ولا عتب
ما غرني النفط ما اغباه والذهب
وظهر تربك لا ينتابني سغب
ومنها

أينكر الأهل حقا بالحياة لنا
أليس هذي الجبال الشم معقلنا
أليس هذي الشطوط الزرق موئلنا
أليس أنا جعلنا الجرد منبسطا
أليس أنا روينا الأرز من دمننا
جذورنا عمق عمق الارض يحضنها
ومن مطولة مطلعها

أكرم به خالدا فينا وان رقدا
هذه النجاوى

لبيك إن ضجت الساحات معولة
لبنان يادرة في الشرق مفردة
فالكون في كفة ألقاه مجتمعا
نفديك لا نبتغي مالا ولا ولدا
تخذت حبك بعد الله معتقدا
وأنت في كفة ألقاك منفردا

وعند بابك هذا البحر قد سجدا

للمجد وادفع أذى الشذاذ متحدا
وأعفر جبين الذي آذاك أو قصدا
واختل كما كنت وهاجا وامتقدا

حد النجوم مذ التاريخ قد وجدا
صعب المنال عليه الكبر قد ولدا
إذا تناعى به المجذاف أو وفدا
يا مشعلا من دم الأجداد قد رفدا
كمارد يمسح التعهير والفندا
رغم الصروف وان افنوا لنا جسدا

عن زلة الشرق قد قدمت مرتعدا
عن زلة الغرب قد ما زلت مضطهدا
يا كرمة باعها الناطور أو سهدا
حباته لبت هذا العقد ما انعقدا
من حولنا الحقد والبغضاء والحسدا

شمخت فوق الروابي الخضر في خفر
ومنها

ويحي أتجدي دموعي هب يا وطني
واقطع ذراع الذي ترميك فتنته
واشمخ كما كنت روادا ومنفتحا
ومنها

أفديك يا موطني يا راية خفقت
يا ثلج يا مشرق الآمال يا جبلا
يا شاطيء المجد كم غنى الحداة له
يا روح يا أمة للحرف شاهدة
غدا ستبقى ويبقى الأرز منتصبا
غدا ستبقى لأن الروح خالدة
ومنها

افديك يا موطني يا كبش محرقة
يا نعجة بين أشداق مفرقة
يا حلقة ضعفها مفتاح علتها
يا حبة الماس في عقد مزيفة
يا ساحة المجد يا حرية جمعت
حتى بنوك اساعوا حفظ نعمتهم

سيدي البطيريك

ومن قصيدة ألقيتها في إحدى قرانا الجنوبية التي قدمت للبنان العديد من الشهداء،
تمتاز فيها المعاناة بالحصار والبطولة والأيمان بالتضحية، هذه المقاطع

قدسية الرايات والألوان
في جبهة الفرسان في الميدان
وتردد الأصدا في الوديان
الفخار مضرجا بالمستباح القاني
ولا تكل مسيرة الشجعان

أرنو إليك كأن فوقك هالة
نور يلوح برمح جريس بارقا
وروى تحوم في الجبال أسيرة
وعلى الثرى القدسي ينسحب
يوم فيوم لا يكل الظالمون

وفي نفس القصيدة أخطب أحد الشهداء
كم رمت تلقى الأرز يضحك في العلاء مطيب الأوراق والأفنان
ملقى عصافير السماء كأنه بيت السلام وجنة الرحمان
حلم بنيانه على رمل الشطوط فغيبته الماء في الشطآن

وقلت ونحن في هذه المنطقة عاتينا الخوف أو الرهبة من البوح بحبنا للبنان في
فترة من الفترات

أنجا وحق صفاء روحك لم أزل صبا بلبنان على الأزمان
كتمت حبي لا أريد ملامة والحب لا يقوى على الكتمان
كيف السكوت على هواه وموطني ارض الجمال وزينة الأوطان
لا شمسه مثل الشموس ولا هواؤه كالهواء بسائر البلدان
وبأي نهر غير آدونيس طاف الحب يجلوه من الأدران
فإذا الشتاء وليد دمع أحبة وإذا الربيع نهاية الأحران
وبأي بحر غير هذا الأبيض استغفى الهوا لشراعه الوسنان
ليروح يهمني الحرف نورا في الورى ويبدل الظلماء بالعرفان

وأقول مماثلاً للشهيد بسادة قومنا في الجنوب الذين يعتبرون أن لبنان هو الكيان
وان الكيان هو الحرية

قد كنت فينا واحدا من سادة رفعوا البناء كأفضل البنيان
لبنان عندهم الكيان فإن وهي شدوا لنصرة موطن وكيان
وكياتهم حرية مطبوعة في الصدر خلف مطرح النسيان

وفي نفس القصيدة وعندما بدا أن السياق يكاد يفضي إلى التشاؤم نسبة إلى الوضع
العام الصعب استدركت وختمت بهذه الأبيات التي تؤكد إيماننا بالله ورجاءنا بقيامة لبنان
كما قام السيد وانتصر على الموت

ويحي غدا تتمزق الأكفان تمتليء القبور بعاطر الإيمان
ويقوم مجد الرب فوق ممالك الإنسان فوق مساحب الأكوان
ويطل من حرمون نور يبهر الدنيا ويحيي الحب في لبنان

غبطة أبينا البطريرك

وعن حبنا للبنان وللحرية التي لا نفرقها عنه، هذه الأبيات من قصيدة مطلعها:

اليوم عند تدافع الأنواء

كم قلت لي خل التعصب جانبا
لكنني متعصب للأرز
للعيش كالأطيار تسبح في الفضاء
أعطيت حبي كله لهويتي
ورضيت من عيش الكفاف بقلة
ما إلفة حرיתי ثمن لها
دع جانحي يرفرفان على الرياح
وقلت

يا شيخ قد طال الكلام وليتني
لكنني صب تعلق خاطري
والأرز عندي نسمة الحرية
اسطيع كتم مرارتي وبلاتي
بالأرز ما من رجوة بشفائي
السمحاء رمز عزيمتي ومضائي

سيدي البطريرك

ويوم افتتح الرهبان دير سيدة البشارة في رميش أنشدت قصيدة طويلة مطلعها

الأرض والشعر والإيمان والأمل
رحبت فيها بالخطوة على اعتبار أنها دعم لضمود الناس هنا ومنها هذه الأبيات

من كان عنده إيمان كخردلة
قد صار شربل حد المجد مواعده
ورام ، حرمون صوب البحر ينتقل
والنور يطفح والللاء ينهمل

والنور يطفح والأجراس تحتفل
وأذعنت للمسوح الرثة الحلل
ثلجا نصوعا فصنين بها غزل
وقلب روما بنا صب ومنشغل
أنا المنائر والإيمان والشعل
مع القداسة قيد الجفن

والارز يبسم والشربين مبهج
وفاخرت شاهق الأبراج محبسة
والأخت رفقة قد شعت طهارتها
والفاتكان لنا غنت مدائحه
وفي غد درجات القدس تعرفنا
هاتوا الأجاجين من يدري فموعدنا

ينسدل

وقد ختمت بهذه الأبيات التي تعبر عن تعلقنا بالله ولبنان
والقيمان على البنيان حظهما
قد كلفاني احبي الدير وا فرحي
قد قلت شعري بحب الأرز مفتخرا
والله والأرز أغلى اثنين في خلدي
فاحم لنا الأرز لا نرضى له بدلا
أني أسير لمن ضحوا ومن بذلوا
هل مثل حظي إذا ناديت يمتثل
واليوم شعري بحب الله يكتمل
فعفوك الله أنت الخلد والأزل
واحمي لنا الدير أنت الدير والبدل

سيدي ويوم لاحت فرصة العودة إلى الوطن وقد فرقوا بيننا قلت في إحدى القصائد
معبرا عن اشتياق شعبنا للوطن وعن فرحته بالفرصة التي أتاحت

لبنان فابسم لنا غصت حناجرنا
إنا عشقتك لم تفتري عزيمتنا
قد فرقوا بيننا ما كان أغشمهم
لعله قد أتاك اليوم موعدنا
واختل بسحرك وضاحا وفتانا
ثلجا وبحرا وانهارا وشطانا
لم يعلموا البعد يصلي العشق نيرانا
فافتح ذراعيك واستبشر بلقىانا

سيدي البطيريك

وإذا كان لا بد من نهاية لهذه الرسالة التي أرجو أن تنال حظوة في قلب غببتكم
وان تتعرفوا من خلالها إلى صمود أبنائكم في الجنوب والى حب لبنان الذي يملأ قلوبهم
فإني اختار أن اختتمها بمقاطع من المطولة الدالية التي مطلعها هو الهدى ما طال الزمن
هو الندى وفيها تصميم على الصمود والبقاء في الأرض وإصرار على التمسك بحرية

لبنان واستقلاله وعناد في الدفاع عن الحق وتأكيد على ضرورة أن تبقى يدا واحدة وقلبا
واحدا واليكم هذه المقتطفات

عزيزا فأعطاه الإباء وزودا
ينابيع سلسال وزهرا منضدا
وفوحا ونسما كالبواح مبردا
فكانت له شم الجبال فخلدا
وقد كان منذ البدء حرا مسودا
على عزة أن نستديم ونصمدا
ومن قال إنا نرهب الموت والردى
وشلنا وكنا في القماط المهددا
وسرنا إلى شم المعازل صعدا
طعاما ونأبى أن نهون ونقعدا
وعدنا وناموس الإباء تجددا
وعدنا وعزم العزم منا تشددا
وأن الذي فيها علينا تأسدا
إذا قابلتنا تسبق السيل شردا
بلانا فأدى جزية وتحبيدا
علينا وراموا أن نزول ونبعدا
فكيف إذا كان الطريد المشردا
ولم يسمعوا منا الصراخ ولا النددا
وان رعي الشربات معربدا
وان تمادي الظالمين إلى مدى
هو الأس إن شاءوا البناء مشيدا
نذير لهم وهو ارتهاص ومبتدا
ونخشى شتاتا لفقوى وتبددا
وان نفقد الإيمان والعزم والهدى
وأن يطرحوا في الساح طرعا معقدا
غراب الصحاري عندليب مغردا

وما الأرز لإموطن الله شاءه
وشاءه فردوس الجمال فخصه
وبحرا وشطا يسجد الحسن دونه
وشاءه حصنا من عناد وعزة
وهل جبل كالأرز يضحى مقيدا
صمدنا به رغم الصروف وعزما
ومن قال إنا يضعف الخوف عزما
ولدنا أباة الضيم يحفزنا العلى
إذا السهل لم يحم تركنا بيوتنا
ندق الصخور القاسيات نحيلها
فكم غزوة ولى الغزاة بأثرها
وكم شدة زالت وزال بلاؤها
أنرهب أن الشام تقصد ذبحنا
ونعرف أن الأسد وهي أصيلة
وأن الذي أعلا الشام بسيفه
أنرهب أن الطارئين تألبوا
ونحن الألى لسنا نهاب محصنا
أنرهب أن الأصدقاء تباعدوا
وان الرعيل الحربات مهددا
ونعلم أن الحق لا بد غالب
وقد يعلم الأحرار ان صمودنا
وان زوال الأرز رمزا وقيمة
أنرهب إنا نرهب الصدع بيننا
وان تتحني منا الرؤوس مهابة
وأن ينبرى منا الكبار خوارجا
وأن يلهثوا خلف السراب وأن يروا

ثبتنا على الأيام رغم سوادها
ونمضي إذا ما باعد الخلف بيننا
وتهوي الجبال الشم وهي ذليلة
ومنها

يسائل قومي ما الصحيح أجبتهم
طليقا كهب الريح حرا ممنعا
فتمحى خطاياكم وتمحى ذنوبكم
يسائل قومي ما السبيل أجبتهم
ولا بد أن يدري الغزاة بأننا
وان الذي يبغون كان محرما
وان بشري معقل الأسد لم تزل
وان عروس السهل زحلة يومها
وان الذي ما زال سيفه مشهرا
إلى أن نقوم الكل قلبا موحدا
ومنها

الأخسيء الواشي فهذه أرضنا
وعشنا وإياها ندود وتعلي
فلا الوكر من دون النسور له صدى
ولا الأرز يزهو حين شعبه موثق

حلفنا وهذا الثلج يشهد أننا
حلفنا وهذا البحر يشهد أننا
حلفنا وهذا الجرد يشهد أننا
سنبقى هنا الأحرار يخفق بندنا
ولن تتحني الهامات منا ذليلة

ولدكم المحب
طانوس حبيب

لأننا جمعنا الرأس والقلب واليدا
كأننا غبار في الرياح تبددا
ويغدو بياض الثلج كالليل اسودا

دعوا الأرز خفاق الجوانح أعيدا
شموخا يحاكي في شموخه فرقدا
وتسقط أوهام وينكسر العدا
سبيل العلى والمجد عزم توقدا
بدلنا الدنى بالأرز سهلا وفدفا
ويبقى مدى الأدهار حرما مؤبدا
وان زغرنا حرة لن تقيدا
لآت وان صال العدو وارعدا
سيحمي الذي قد بات سيفه مغمدا
ونمضي إلى العلياء صفا موحدا

زرعنا ثراها الحر دمعا وأكبدا
إلى أن غدونا واحدا متفردا
ولا النسر من دون الجواء له مدى
ولا الشعب يزهو ان رأى الأرز أجردا

سنبقى هنا ما الثلج يسقط موعدا
سنبقى هنا ما البحر يزخم مزبدا
سنبقى هنا ما الريح تلطم جلمدا
عزيزا على شم الجبال ممردا
ولن نفقد الإيمان والعزم والهدى

عين ابل في ٢/٤/٢٠٠٠

